الحلقة الخامسة

ثمرات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : ففريضة الصيام تنطوي علي حكم وأسرار ، ومنها نستنبط كثيرا من الدروس المستفادة ، وفيها خير كثير للصائمين ، ورضا عظيم من ربنا الذي اتصف بالكرم الذي لا يحد والفضل الذي لا ينتهي ، والصوم يستهدف مصلحة الإنسان وهو يقوم بدور عظيم في تهذيب الغرائز ، وتنمية الفضائل ، ومحاربة الرذائل ، ولعل أبرز ما يترتب علي الصوم من نتائج ، وأشهر ما جاء به من فوائد، ما حملته آية الصوم لنا ، من أن اسمي غاية له : هي تربية ملكة التقوي لدي الصائم ، وتقويتها وتنميتها ، وذلك في قول الله - تعالي - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣)

فالله - تبارك وتعالي - تحدث عن الثمرة التي ترجي من أداء هذه الفريضة ، والتي تتمثل في تقوي الله - عز وجل - ﴿ لعلكم تتقون ﴾ وما التقوى إلا سمو وعلو ، وارتقاء ورفعة ، وتحليق في سماء العزة ، وبالتقوى تكون الوقاية من نار جهنم ، ومن غضب الله - تبارك وتعالي - ، بها يكون الحفظ من الوقوع فى الزلل ، والبعد عن الشر والمصائب ، وهي الوسيلة الموصلة إلى الله ورضاه . ولنسرّح عقولنا في بستان التقوى وروضة الرضا الرباني ، لنعرف معا مفهوم

تقوي الله وحقيقتها ، وبفهمنا لها ووضوح صورتها أمامنا ، سنجد أنفسنا وقد أسرعت إلى الاستظلال بظلها الوارف . إن التقوى ثمرة من ثمار الصوم ، وهي امتثال الخلق لأوامر الخالق ، وتطبيق أمين لما ألزم به الله عباده ، من صلاة وصوم وزكاة وحج، وتعاون وإصلاح بين الناس ، وإنفاق في سبيل الله ، وما إلى ذلك من أمور أخري تستهدف الخير للمجتمع الإسلامي وأبنائه ، وهذا هو جانب الامتثال، أما الجانب الآخر وهو الاجتناب ، فهو الامتناع عن فعل كل ما نهي الله عنه والابتعاد عن اقتراف الرذائل التي لا يرضي عنها الله ، هذا هو مفهوم التقوى بإيجاز .

أما الإمام علي - كرم الله وجهه ورضي عنه - فإنه يفسر التقوى تفسيرا أوسع ، ولكنه يرجع إلى المعني السابق ، وهو الامتثال والاجتناب ، فماذا قال الإمام عليّ ؟ إنه يقرر عناصر للتقوى ويذكر لنا أن لها جوانب تتكون منها وهي تتمثل في أربعة أشياء : أولها : الخوف من الجليل ، وثانيها : العمل بالتنزيل ، وثالثها : الرضا بالقليل ، ورابعها : الاستعداد ليوم الرحيل ، تلك هي العناصر التي تتكون منها التقوى كما صورها الإمام علي ، وهي كما نري ترجع إلى الامتثال والاجتناب ، إذ إن المؤمن الذي يملأ قلبه خوفا من خالقه وخشية من ربه ، يحرص كل الحرص علي أداء ما طلب منه علي أحسن وجه ، ويبتعد عن اقتراف المعاصي وفعل المحرمات ، وهو كذلك يتأثر بما في القرآن الكريم من أوامر وتوجيهات وتنفعل نفسه بما يتلي عليه من آيات ، وهو يرضي بما قدر الله ، ويقنع بما قسم له ربه ، فلا تطلع من جانبه إلى ما في أيدي الناس ، ولا خروج عن دائرة الدين إذا نزل به مكروه ، وهو يعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، ويعمل لدنياه

كأنه يعيش أبدا، وهو يتزود لسفر الآخرة الطويل بالأعمال الصالحة .

المؤمن الذي شأنه هذا وحاله تلك هو المتقي ، وهو الفائز بالثواب الجزيل من ربه ، وهو الولي الذي لا يلحقه خوف من آخرته ، ولا يصيبه هم في دنياه ، ولا يعرف الحزن إلى قلبه سبيلا ، وله البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقد بين ربنا جل شأنه هذه النتيجة الرائعة في كتابه الكريم حيث قال :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (يونس : ٦٢-٦٤) .

إنها أسمي نتيجة ، وأنفس جائزة ، وممن ؟ إنها من الله مالك كل شيء ، والخالق لكل شيء ، ولمن ؟ إنها لأحباب الله وأوليائه ، وأصفيائه وأخياره ، والعارفين به بصدق ، والمؤدين واجبهم نحوه بإخلاص ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تشيد بالمتقين ، وتبين منزلتهم العالية عند ربهم ، ومستقبلهم الباسم في آخرتهم ، وتلك باقة عطرة من الآيات القرآنية التي تتحدث عن سمو مستقبل أولئك الصالحين ، حيث قال الله - تعالي - :

﴿ إن المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون ، متكئين علي فرش مصفوفة وزوجناهم بحور عين ﴾ (الطور : ١٧- ٢٠) .

وحيث قال - جل جلاله - : ﴿ إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، جزاء من ربك عطاءا حسابا ﴾ (النبأ : ٣١-٣٦).

وحيث قال - سبحانه - : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ . (النحل:١٢٨) وحيث قال تقدست أسماؤه : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٢ - ٣).

وحيث قال - عز وجل - : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ (التوبة : ٤).

ويقول ربنا كذلك: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات:١٣). وهكذا نجد القرآن الكريم يتحدث عما ينتظر المتقين من المستقبل الباسم ، والحياة المشرقة ﴿ في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر:٥٤-٥٥)

إنها الحياة العزيزة الكريمة الهانئة ، لأحباب الله الذين اتقوه في السر والعلن ، والذين لم يدنسوا دنياهم بالخطايا ، وهم في معية الله دائما ، وفي رعايته وفي الظل الظليل ، وهم جديرون بهذا الفضل الإلهي ، والكرم الرباني ، والعطاء العظيم ، والرضا عنهم من خالقهم الذي أحبهم . إن المتقين قد وصلوا إلى هذه المنزلة العالية بتقواهم ، والتقوى من أبرز فوائد الصيام ، ومن أهم أسراره وحكمه ، وربنا حين أمرنا بالصوم ، يريدنا أن نصل إلى مرتبة أحبابه المتقين ، وأن نحظى بسمو المنزلة وعلو المكانة وحلاوة الرضا منه سبحانه .

أيها الإخوة والأخوات : ليس الصيام أن نجوع ونظمأ ، وإنما الصوم أبعد من ذلك وأكبر ، إنه تهذيب وتأديب ، ووصول بالنفس إلى الكمالات ، وهو تصفية للروح وتنقية للقلب ، وتصفية من شوائب المادة ، وتنقية من أكدار الذنوب ... إن الصوم تربية إلهية ، وتوجيه رباني ، فعلينا أن نستفيد من الصوم ، وأن نحقق

هدف التقوى من هذه الفريضة ، ونسأل الله تعالي أن يؤهلنا لتحصيل التقوى ، ويتوج رءوسنا بها ، وأن يكون صومنا مقبولا ومرضيا عنه من مولانا ، اللهم آمين .